دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حيثياتها
ـ دولة المرابطين أنموذجا ـ

بقلم

محمد العربي ببوش(*)، د. عبد القادر مهاوات (**)

ملخص

لا شك أنّ الحضارة الإنسانية الرائدة هي التي تجمع بين المادة والروح، وفقدان أحدهما كفيل بأفول تلك الحضارة وسقوطها، ولعل ما تعاني منه الدول الإسلامية اليوم من ضعف وتخلف حضاري؛ إنما هو بسبب الانحراف والتغيير الذي طرأ على القيم الروحية فيها، والناظر في التاريخ الإسلامي يُلاحظ أهميتها في قيام عديد من الحضارات، وأنّها من أهم مقوماتها، ومن هنا يمكن أن تُثار الإشكالية الآتية: ما هو دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات؟ وما هي أهم النماذج الدالة على ذلك؟

ويأتي هذا البحث للإجابة عن هذه الإشكالية ببيان مفهوم القيم الروحية، ومصادرها، وأهم النماذج عنها، وإبراز أهميتها في بناء المجتمع والدولة، وتأصيل ذلك من الكتاب والسنة، وأقوال علماء ومفكري الإسلام، مع استعراض نموذج فريد للدلالة على ذلك، ويتعلق الأمر ببيان دور القيم الروحية في قيام دولة المرابطين؛ خاصة في مرحلتها الدعوية الأولى بزعامة الشيخ عبد الله بن ياسين، ثم يوسف بن تاشفين، باستخدام المنهج التاريخي المعتمِد أساسا على التحليل والوصف.

الكلمات المفتاحية: القيم الروحية؛ بناء الأمم؛ دولة المرابطين؛ ابن ياسين؛ ابن تاشفين.

(*) طالب دكتوراه، فقه وأصوله، سنة ثانية، قسم الشريعة، معهد العلوم الإسلامية، مخبر الدراسات الفقهية والقضائية، جامعة الوادي، babbouche-mohammedlarbi@univ-eloued.dz

(**) أستاذ محاضر قسم أ، قسم الشريعة، معهد العلوم الإسلامية، عضو مخبر الدراسات الفقهية والقضائية، جامعة الوادي، mehaouatabdelkader@gmail.com

المقدمة

لا شك أنّ الحضارة الإنسانية الرائدة هي التي تجمع بين المادة والروح، وفقدان أحدهما كفيل بأفول تلك الحضارة وسقوطها، ولعل ما تعاني منه الدول الإسلامية اليوم من ضعف وتخلف حضاري؛ إنما هو بسبب الانحراف والتغيير الذي طرأ على القيم الروحية فيها، والناظر في التاريخ الإسلامي يُلاحظ أهميتها في قيام عديد من الحضارات، وأنّها من أهم مقوماتها، ومن هنا يمكن أن تُثار الإشكالية الآتية: ما هو دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات؟ وما هي أهم النماذج الدالة على ذلك؟ وتنبني على هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها:

1- ما مفهوم القيم الروحية؟ وماهي مصادرها؟ وما هي خصائصها؟

2- ما هو دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات؟ وما تأصيل ذلك من الكتاب والسنة وآراء مجتهدي الأمة؟

3- ما هو دور القيم الروحية في بناء دولة المرابطين؟

ولمعالجة هذه الإشكالية، والإجابة عن سائر التساؤلات المتعلقة بها، استخدمنا المنهج التاريخي المعتمِد أساسا على التحليل والوصف، مع استعمال محدود للمنهج الاستقرائي.

كما تَمَّ عرض المادة العلمية لهذا البحث وفق خطة تضمنت مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، وتفصيلها كالآتي:

المقدمة: وفيها توطئة لموضوع البحث، وعرض لإشكاليته، وبيان للمنهج المتبع فيه، وبسطٌ لخطته.

المطلب الأول: مفهوم القيم الروحية ومصادرها وخصائصها. الفرع الأول: مفهوم القيم الروحية. الفرع الثاني: مصادر القيم الروحية. الفرع الثالث: خصائص القيم الروحية

المطلب الثاني: دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات. الفرع الأول: دلالة الكتاب والسنة على دور القيم في بناء الأمم والحضارات. الفرع الثاني: آراء علماء ومفكري الإسلام

في دور القيم في بناء الأمم والحضارات.

المطلب الثالث: دور القيم الروحية في بناء دولة المرابطين. الفرع الأول: دور عبد الله بن ياسين في ترسيخ القيم. الفرع الثاني: دور يوسف بن تاشفين في ترسيخ القيم. الفرع الثالث: كيفية تأثير القيم الروحية في بناء دولة المرابطين.

الخاتمة: وفيها إثبات لأهم النتائج المتوصل إليها، واقتراحٌ لعددٍ من التوصيات.

المطلب الأول: مفهوم القيم الروحية ومصادرها وخصائصها

سنبيّن من خلال هذا المطلب مفهوم القيم الروحية ومصادرها الأساسية، وسنحدد أهم خصائصها ومميزاتها.

الفرع الأول: مفهوم القيم الروحية

لقد تعددت آراء الباحثين في تحديد مفهوم القيمة نظرا لاختلاف توجهاتهم الفكرية، أو مدارسهم العلمية وتخصصاتهم الأكاديمية، وتفصيل ذلك ومناقشته لا يسمح به هذا البحث الموجز؛ لذلك آثرنا أولا الاقتصار على بعض التعريفات العامة للقيم، وثانيا الوقوف على أهم تعريفات الباحثين والمفكرين الإسلاميين لها.

أولا- التعريفات العامة للقيم: عُرّفت القيم بعدة تعريفات منها:

1- "مجموع المعتقدات والقناعات التي ينظر من خلالها الفرد إلى أي موضوع سيكولوجي: إنسان، حدث، سلوك، أو شيء، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحو هذه المواضيع السيكولوجية، وتحدد طبيعة سلوكه تجاهها: القبول، الرفض، اللامبالاة، التعاطف، التحامل"[1].

2- "كل ما من شأنه أن يمثل معيارا وميزانا يتحرك من خلاله الإنسان، ويتصرف وعيا وسعيا بوحي من إشاراته وتوجيهاته، بحيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات، وبه يكون لهذه الحركة قدرها وفاعليتها"[2].

3- "المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته، ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه، أي أنه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين اثنين، استحقاق التوجه إليه، واستحقاق التطبيق له"[3].

ثانيا- تعريفات القيم في الفكر الإسلامي: لقد عُرّفت القيم في الفكر الإسلامي بتعريفات كثيرة، متقاربة في المعنى، مختلفة في الوصف؛ وذلك لاعتبارات عديدة؛ فمن الباحثين من يطلق عليها القيم الروحية كاصطلاح بحثنا؛ لتعلقها بالروح دون المادة، وآخرون يسمونها بالقيم الإسلامية أو القيم الدينية؛ لاستمدادها من الدين، وباعتبار دورها في قيام الحضارات أطلق عليها البعض القيم الحضارية، وفيما يأتي بعضا منها:

1- "حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محدِّدا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"[4].

2- "تلك القيم التي تحدّث عنها القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، والتي تتعلّق بنموذج ومثال السّلوك الإنساني الذي ينبغي أن يقتدى به، وهي المعيار الذي يتحدّد بناء عليه صواب الأفعال والأقوال أو خطؤها"[5].

3- "جملة المبادئ والأخلاق والأحكام والتعاليم والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تميِّز حضارة ما، وتبين قدرها، وتنظم علاقاتها، وتستمد من الأديان السماوية، أو المذاهب الوضعية، أو العرف والعادة، ويتواصى بها المجتمع، وتتوارثها الأجيال، وتجاهد في سبيلها، وهي تشكل الجانب المعنوي الذي يقابل الجانب المادي للحضارة المتمثل في العمران"[6].

4- "المعايير والموازين الموجهة لحركة الإنسان، والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري، بكل تنوعاته وامتداداته، وفق رؤية الإسلام ومقاصده في تحريك الحياة؛ تحصيلا للمعية الإلهية، وترسيخا للذات الإنسانية، واستقامة في التعامل مع مفردات الكون وعطاءاتها، من خلال فقه شغوف بالتوازن والتجرد، وأداء الحقوق ومراعاة الحرمات ورفيع الأذواق،

وأخلاق البذل والإيثار، واصطناع المعروف، وابتغاء الفضل وبذله، ومحاربة الطغيان الحضاري، والاستئثار العمراني، وبعيدا عن ألوان التضليل والبغي الحضاري، وأخلاقياته في تحريك الحياة"[7].

الفرع الثاني: مصادر القيم الروحية

لا شك أنَّ الأخلاق مأخوذة من الدين، وتوضيح ذلك أنها تدور على الخير والشر، والخير والشر قيمتان لا تنشآن من الواقع؛ لأن الواقع لا ينشئ إلا الواقع، والقيمة أمر واجب، والواجب خلاف الواقع، كما أنهما لا ينشآن من العقل المستقل؛ لأن العقل المستقل لا ينشئ إلا القانون، أما القيمة فهي عبارة عن مثال، والمثال خلاف القانون؛ إذ القانون يسبقه الشك، وقد يعقبه الخطأ، في حين أن المثال يسبقه اليقين، ولا يعقبه إلا الصواب، فلا يبقى إلا أن الأخلاق على الأقل في أصولها مصدرها الدين، فيحدث منها العقل بإحدى آلياته الاستدلالية فروعا، فيتوهم بعضهم أن الأخلاق كلها أصولا وفروعا إنما هي من صنع العقل الإنساني[8].

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:4]. "قال ابن عباس ومجاهد: لعلى دين عظيم، لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام، وقال الحسن رضي الله عنه: هو آداب القرآن"[9].

وجاء عن سعد بن هشام أنّه سأل عائشة رضي الله عنها: قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى. قَالَتْ: «**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ الْقُرْآنَ**». قَالَ: "فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوت"[10].

وقد جمع الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: 199][11].

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام القيم السامية والأخلاق الفاضلة

منذ بداية دعوته؛ ويدل على ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها الذي روت فيه محاورة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي حيث جاء فيها: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَام ...»[12].

وقد قرر ابن القيم أنّ الدين كله خلق؛ فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وقد قيل: "إن حسن الخلق بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى"، وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة[13].

وما يُمكن استنتاجه مما سبق أنّ القيم الروحية من عند الله تعالى؛ فالإنسان لا يمكنه من تلقاء نفسه، ودون معونة إلهية أن يُنشيء نظاما حياتيا صالحا له، ولا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية تساعده على أداء دوره في الأرض؛ بسبب ما يطرأ عليه من ميل للهوى، وما جُبِلَ عليه من ضعف؛ ولذا فإن الوحي هو الذي يستطيع ذلك، وهذا ما حدث فعلا؛ فقد جاء الوحي بقيم خالدة تحفظ على الإنسان جهده وحياته، ولترتفع به إلى المستوى اللائق به كخليفة لله في الأرض[14].

وبذلك تكون العقيدة الصحيحة هي النبع والمصدر الأول للقيم الأخلاقية، وللشعور بالالتزام بممارستها وتحويلها إلى نماذج تطبيقية متحركة ومتحقِّقة في حياة الأمة أفرادا وجماعات، ومن نافلة القول تكرار الحقيقة المعروفة لدى سائر علماء النفس وعلماء الاجتماع وهي أن أقوى أنواع الضبط للسلوك الإنساني هو الضبط الإرادي، وهذا الضبط لا يمكن أن ينتج إلا من الأخلاق التي ترتبط بقيم يدعمها الإيمان بها، وهي أخلاق لا تتبدل حسب

الطلب، وإنما تبقى ثابتة؛ لأنها هي التي تحفظ للجماعة الحد الأدنى من التوازن، كما أنها تُمِدُّ المجتمع بالقواعد التي تضبط سلوك الناس، وتوجه ممارساتهم.

تلك هي المصادر الأولية لكل قيم الحق والخير والجمال، وتلك هي المؤثرات الأساسية التي تقف من خلفها في العقل والقلب والوجدان أولا، ثم تدفع بها إلى مجالات السلوك والممارسة لتتحول واقعا معاشا في حياة الناس ثانيا[15].

الفرع الثالث: خصائص القيم الروحية

إن خصائص القيم الروحية تتميز بما يلي:

أ- الربانية: فهي تصدر من مصادر الإسلام ذاته؛ أي أنها تُسْتَمَدُّ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويعتبران الأساسين اللازمين للحديث والبحث عن القيم الإسلامية، كما سبق بيانه.

ب- الموافقة للشريعة الإسلامية: فمنها تستمد الأحكام الشرعية، باعتبار أن الحياة الإسلامية كلها تقوم على هذه الأحكام، وتأتي القيم في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك والكف بكافة درجات الأمر، وهي بهذا تحدد توجيهات الإنسان في حياته حيال الأشياء والمواقف، تاركة له مساحة من الاختيار.

ج- الشمولية: بمعنى أنها تُراعي عالم الإنسان وما فيه، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياة الإنسان طبقا للتصور الإسلامي؛ أي تحدد أهداف الحياة وغايتها وما وراءها، ومن ثم تكون قيمةُ أيِّ إنجازٍ بشريٍّ في تقدير حسابه وجزائه في الدار الآخرة، مع عدم إهمال الدنيا. كما أن القيم جامعة لكافة مناشط الإنسان وتوجهاته، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي في هذا لا تقف عند حد الحياة الدنيا.

د- الوسطية: فهي تمتاز بالوسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا تشدُّد فيها ولا تمييع، ولا غلوَّ فيها ولا انفلات.

هـ- قيامها على مبدأ التوحيد: وذلك باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم وسلوكياته، حتى يصل لأهدافه، وبهذا تجعل لحياة الإنسان معنى ووظيفة.

و- الأبدية: فهي تتميز بالاستمرارية والعمومية لكل الناس في كل زمان ومكان[16]، فلا تقتصر على حقبة زمنية دون أخرى، ولا موطن من الأرض دون آخر.

المطلب الثاني: دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات

تُشكل العقيدة الدينية مكونا أساسيا في خِلقة الإنسان وجِبِلَّتِهِ، يُعبّر عنها بأنّها فطرة أصلية في النفوس البشرية، لا يُغني عنها قانون ولا فلسفة ولا تثقيف؛ لأنّ العنصر البشري يبقى قبل كل العناصر وبعدها هو الأساس في بناء الحضارات ورقي الأمم وسيادة القيم، وذلك بنمط السلوك الذي يسلكه وفق ما يعتقده من عقيدة يدين بها التزاما، ويدين لها في تقدمه أو تأخره، في علمه أو جهله، وحتى في سُموه أو هبوطه وتدنيه[17]، وسنبيّن في هذا المطلب مدى دلالة الكتاب والسنة وأقوال مجتهدي ومفكري الأمة على تأصيل دور القيم في بناء الحضارة.

الفرع الأول: دلالة الكتاب والسنة على دور القيم في بناء الحضارات والأمم

أولا- دلالة القرآن الكريم: تتابعت آيات القرآن الكريم في تقرير حقيقة ارتباط بزوغ الحضارات وأفولها بالقيم، ونذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾ [النور:55]. قال السعدي في تفسيره: "هذا من أوعاده الصادقة، التي شُوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام"، ثم قال: "فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها ... فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكَّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة

الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان؛ بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"[18].

وقال الطاهر بن عاشور: "فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضح لهم الشرع تحقق وعد الله إياهم بهذا الوعد الجليل، وهذه التكاليف التي جعلها الله قواما لصلاح أمور الأمة، ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن، صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسبابا لها، وكانت الموعدة كالمسبب عليها، فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع"[19].

2- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء:105]. قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عما حتَّمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة"[20]، وقال الشوكاني: "والظاهر أن هذا تبشير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بوراثة أرض الكافرين"[21].

وقال سيد قطب: "وحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ، ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح، وقد تقع الغلبة للآخذين بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح، وإلى عمارة الأرض، والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان، وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله، وتجري سنته: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾؛ فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون"[22].

ثانيا- دلالة السنة النبوية: جاء في عديد توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ سبب ضعف الأمة وهوانها على أعدائها هو بعدها عن قيم دينها، وأنه لا سبيل لعزتها وتمكُّنها إلا

بالرجوع إلى الوحي الإلهي المتضمن لكل القيم التي من شأنها تحقيق الخلافة في الأرض، ونذكر منها:

1- حديثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما الذي قَالَ فيه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**[23] **وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»**[24]؛ المراد من الحديث "ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر همه، وقَدَّمَ هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاة الله تعالى، لا سيما الجهاد في سبيل الله، ويستمر هذا الذل عليكم، حتى تعودوا إلى إقامة الدين كما أراد الله عز وجل، فتطيعوا الله في أوامره، وتجتنبوا ما نهاكم الله عنه، وتقدموا الآخرة على الدنيا، وتجاهدوا في سبيل الله"[25].

قال الصنعاني: "وتسليط الله كناية عن جعلهم أذلاء بالتسليط؛ لما في ذلك من الغلبة والقهر، وقوله حتى ترجعوا إلى دينكم؛ أي ترجعوا إلى الاشتغال بأعمال الدين، وفي هذه العبارة زجر بالغ وتقريع شديد، حتى جعل ذلك بمنزلة الردة، وفيه الحث على الجهاد"[26]، وقال الشوكاني: "وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين، عاملهم الله بنقيضه، وهو إنزال الذلة؛ فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان"[27].

2- ما جاءَ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه عندما قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **«بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ»**. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: **«حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**[28].

"هذا الوصف النبوي البليغ يُشخص أسباب ضعف المسلمين، وكيف أنهم إن التفتوا إلى الدنيا ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم فيها، فإنهم سينالون ضد ما أرادوا، وسيُسلط

عليهم أعداءهم، وهذا المشهد تكرر في أحقاب متوالية في الدول الإسلامية من بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، فهو مشاهد في أحوال الدولة الأموية والعباسية، وما بعدها من الدول، وما حصل للمسلمين في الأندلس بعد أن أقاموا فيها حكم الله، ونشروا العدل وازدهرت حضارة أمة الإسلام، وكانت المكتشفات والمخترعات، وما حصل لهم من الحضارة التي نُقِلت إلى أوروبا، مما هو مشاهد إلى يومنا هذا، وإنما نُقِض ذلك حينما خالفوا المعادلة الإسلامية في قيام الدول واستمرارها، واستبدلوا بذلك حب الدنيا وكراهية الموت"[29].

الفرع الثاني: آراء علماء ومفكري الإسلام في دور القيم في بناء الحضارات والأمم

لعل أول ما يمكننا استحضاره في هذا الموضع العبارة المشهورة التي أُثرت عن سيدنا عمر رضي الله عنه؛ فقد أخرج ابن المبارك في الزهد عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ أَرْضَ الشَّامِ أُتِيَ بِبِرْذَونٍ فَرَكِبَهُ، فَهَزَّهُ، فَكَرِهَهُ، فَنَزَلَ عَنْهُ، وَرَكِبَ بَعِيرَهُ، فَعَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ، وَنَزَعَ مُوقَيْهِ، فَأَخَذَهُمَا بِيَدِهِ، وَخَاضَ الْمَاءَ، وَهُوَ مُمْسِكٌ بَعِيرَهُ بِخِطَامِهِ -أَوْ قَالَ: بِزِمَامِهِ-، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوِّهْ -يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ- لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، وَأَحْقَرَ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلَّكُمُ اللَّهُ"[30]، والمقصود من كلامه رضي الله عنه أنّ العزة والمكنة التي حازها المسلمون، وأعظمها فتح بيت المقدس، إنما كانت بفضل تجسيد قيم الإسلام ومثله العليا وتعاليمه السمحة في واقع الناس.

وأما عن الاستشهاد بعلماء ومفكري الإسلام للتدليل على أهمية القيم فنذكر منهم:

أولا- ابن تيمية: فقد أكَّد على أهمية القيم، وبيَّن أنها من السنن الكونية للتمكين في الأرض؛ فقال في "مجموع الفتاوى" ما نصُّه: **"**فإنَّ الناس لم يتنازعوا في أنَّ عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة؛ ولهذا يُروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا

ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"[31]، وقال في موضع آخر معلِّلا رأيه: "وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ... فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة؛ وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"[32].

ثانيا- محمد الطاهر بن عاشور: فقد بيَّن بأن القيم الروحية بمثابة الأسباب الكونية من أخذ بها وصل إلى المقصود ولو كان غير مسلم، ومن كلامه في التحرير والتنوير: "فلو أن قوما غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات؛ بحيث لم يُعْوِزْهُمْ إلا الإيمان بالله ورسوله لاجتنوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنيها المسلمون؛ لأن تلك الأعمال صارت أسبابا وسننا تترتب عليها آثارها التي جعلها الله سننا وقوانين عمرانية، سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به، أو بعدم تصديق رسوله، يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم، ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد، ألا ترى أن القادة الأوروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية، ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي، والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان، والمواساة وكراهة البغي والعدوان؛ فعظمت دولهم واستقامت أمورهم"[33].

ثالثا- مالك بن نبي: كان بناء الحضارة واستعادة النهضة للعالم الإسلامي، من أهم الشواغل الفكرية لمالك بن نبي. ويمكن اعتبار هذا الجانب، ركنًا أصيلاً وجوهريًّا في مشروعه الفكري، كما تدل على ذلك كتاباته ومقالاته التي استمرت في الظهور، معبِّرة عن اهتماماته الفكرية والعملية مدة تقارب نصف قرن، ويمكن القول بأن انشغاله بهذه القضية الكبرى، لم

يكن مجرد استجابة لدوافع فكرية أو فلسفية خالصة؛ بل إنه كان كذلك استجابة لدوافع دينية تتمثل في انتمائه إلى الإسلام الذي أقام على امتداد القرون حضارة شامخة أسهمت في تاريخ الحضارة الإنسانية[34]، ومن أقواله المؤكدة على دور القيم في التغيير وبناء الأمة ما جاء في كتابه مشكلات الحضارة مستدلا بحركة الإصلاح في الجزائر إبان الاستعمار ما نصه: "وإنها لشِرعة السماء؛ غير نفسك تغيّر التاريخ، وعلى هدي هذه الكلمة بدأ الإصلاح الجزائري من النفس هادفا في جوهره إلى تغيير الإنسان؛ فبعث فيه روحا وثابة، أشرقت معها بوادر النهضة الكبرى"[35].

ثم عمَّم صلاحية تجربة الإصلاح الفكري والروحي لبناء الحضارة في موضع آخر بقوله: "وكانت الأمة تقدم تضحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل البعث الفكري والبعث الروحي؛ اللذيْن هما عماد كل حضارة"[36]، ثم حاول حصر مشكلة الأمة بقوله: "لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب، بل فيما يسودنا من عادات، وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق، وما فيها أيضا من نقائص تعتري كل شعب نائم"[37].

المطلب الثالث: دور القيم الروحية في بناء دولة المرابطين

ليس الهدف من هذا المطلب التوسع في تاريخ دولة المرابطين منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها، أو التعرض لجذورها التاريخية، ووطنها الأصلي، وسبب تسميتها بهذا الاسم، أو أهم أعمالها وانتصاراتها؛ فكل ذلك يجده الباحث مبثوثا في كتب التاريخ، وإنما الغرض من هذا المطلب تسليط الضوء على جوانب مهمة من هذا النموذج الفريد لدولة عظيمة عرفها التاريخ الإسلامي كانت القيم الروحية من أهم مقومات بنائها وتكوينها، وسنعرض ذلك من خلال إبراز دور زعامتين في ترسيخ القيم لدى دولة المرابطين، الأولى: روحية، والثانية: سياسية عسكرية.

الفرع الأول: دور عبد الله بن ياسين[38] في ترسيخ القيم

كانت رئاسة الملثَّمين في قبيلة لمتونة، وبعد وفاة الأمير محمد بن تيفاوت اللمتوني خَلفه يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي سافر سنة 427هـ إلى الحج[39]، وفي طريق عودته جلس لدرس

الفقيه أبي عمران الفاسي في مدينة القيروان، فأدرك مدى جهل قومه بقواعد الإسلام؛ مما جعله يطلب من الشيخ أبي عمران أن يبعث معه أحد تلاميذه ليقوم بالتعليم والإرشاد في قومه، فأحاله على الشيخ وجاج بن زلوا اللمطي، والذي بدوره انتدب مكانه لهذه المهمة الصعبة أحد تلاميذه وهو عبد الله بن ياسين الجزولي[40].

ودخل عبدُ الله بن ياسين مع يحيى بن إبراهيم أمير جدالة مضارب ومواطن ومساكن المُلَثَّمين من قبيلة جدالة في عام 430هـ[41]، راكبا بعيرا يقوده الأمير، وهو يقول للناس هذا محيي سنة رسول الله، يعرضه على الناس، ويدعوهم لحضور مجلسه والاستماع إلى مواعظه، وأطلق عليه اسم إمام الحق؛ فاستقبله أهلُها واستمعوا له، وفرحوا به، وجاءته الوفود من كل فج داعية مرحبة؛ لأنهم كانوا كما يبدو يحسون بذلك المستقبل الزاهر الذي أخذ هذا الفقيه الجريء يرسمه لهذه الشعوب التي لم تكن قد اضطلعت بدور يذكر في تاريخ المغرب، فأخذ يعلمهم، فكان تعليمُه باللغة العربية لطلبة العلم، والإرشاد الديني للعامة بلهجة أهل الصحراء البربرية.

أخذ عبد الله بن ياسين منذ وطئت قدماه ديار الملثمين يرسم لنفسه المنهج الذي يدنيه من الأهداف التي حالف يحيى بن إبراهيم على تحقيقها، وهي: تأليف قلوب الملثمين، وإقامة نوع من التوحيد بين القبائل المتنافرة على أسس من الدين الصحيح، والخلق القويم، حتى لا يُكتب لها أن تتفرق كما تفرقت من قبل[42]، وقد سارت دعوة عبد الله بن ياسين في تحقيق منهجه على مرحلتين:

– ففي **المرحلة الأولى:** اتخذ عبد الله بن ياسين صفة الفقيه المشاور المعلم، واستطاع بسبب معرفته اللهجات البربرية، وصدق يقينه وإخلاصه، أن يجتذب إليه الطلبة من كل فج، فكانوا يشدون إليه الرحال من أقصى الديار يحضرون حلقته، ويستمعون إلى دروسه، فأخذ يلقنهم المبادئ الصحيحة للدين، حتى إذا تمكن من نفوسهم، وأقبلوا عليه بعقولهم وأفهامهم أخذ يفسر القرآن ويروي الحديث؛ فاستطاع بفضل فرط ذكائه وخبرته بطبائع الناس، وسعة فقهه أن ينفذ إلى قلوب العامة، فوثقوا به وأقبلوا عليه وتفتحت أذهانهم لتعاليمه، وسما في نفوسهم إلى درجة

التقديس، كان يعلِّمهم، ويفتي في مشاكلهم، وكان صاحب الرأي والمشورة، بل كان بيت مالهم تحت إشرافه[43].

– وفي **المرحلة الثانية**: ذهب عبد الله بن ياسين في دعوته الإصلاحية إلى أبعد من ذلك؛ فلم يكتف بالدرس بل أمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر، فلم يقتصر على تعليمهم شعائر الدين بل أراد أن يهذب أخلاقهم، ويخرجهم من حياة الخشونة والبداوة التي كانوا يعيشون فيها؛ فوضع لهم نظاما للآداب العامة، وأخذهم بالشدة، وقد يُقصد بالشدة تطبيق القصاص والحدود والتعازير[44]، وقد لاقى عبد الله بن ياسين كثيرًا من الصعوبات، فقد وجد أكثر المُلَثَّمين لا يصلون ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وعمَّ الجهل عليهم، ومن الأمثلة على ذلك أنّهم كانوا يتزوجون بأكثر من أربع حرائر[45]، كما انحرفوا عن معالم العقيدة الصحيحة، وتلوثت أخلاقُهم وأحكام دينهم، واصطدمت تعاليمه بمصالح الأمراء والأشراف، فثاروا عليه، وكادوا يقتلونه، إلا أنه ترك قبيلة جدالة، وانتقل إلى قبيلة لمتونة، ومِن ثمَّ اختار رباطه المشهور على مصب نهر السنغال، بعد انتشار صيته، وتعلُّق النَّاس به، فهرعوا إليه ليربيهم وينظمهم ويعلمهم، ومن ثم تطورت الدعوة فأصبح الجهاد ناصرا ومظهرا لها؛ لتبدأ نواة قيام دولة المرابطين[46].

الفرع الثاني: دور يوسف بن تاشفين في ترسيخ القيم

كانت المغرب والأندلس في أيام ظهور المرابطين تعيشان حالة من الفوضى والاضطراب السياسي، الذي عانت منه شعوب تلك البلاد معاناة مُرَّة؛ حيث غاب القانون، وفُقد الأمن والاستقرار، وانتشر الفقر، وعم الجهل، وكثرت الغارات بين القبائل؛ فأصبح المغرب في ذلك الوقت يعاني من الانقسام الحاد سياسيا واقتصاديا ودينيا؛ حيث انتشرت الباطنية وغيرها من الأفكار الهدامة، وأصبح الناس في صراع متجدد يؤجِّجه أمراء السوء الذين يستغلون هذه الفتن لمصالحهم الشخصية.

وفي مثل هذه الظروف التي عاشتها الأمة في هذه البلاد يصعب على دعاة الإصلاح أن يجدوا من يؤازرهم[47]، لذلك تحولت دعوة المرابطين الإصلاحية من اللسان إلى السِّنان، بداية على يد زعيمها الروحي عبد الله بن ياسين، ومن خَلَفَهُ من بعده من تلامذته أبو بكر بن

عمر اللمتوني الذي تنازل عن إمارة المغرب ليوسف بن تاشفين؛ فقد خط لهم منهجا واضحا يسيرون عليه، قوامه: الزهد والتقشف والإيثار والتضحية والصيام والقيام، ونشر العدل، وعدم المحاباة على الحق، وتنفيذ شعار المرابطين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[48].

ومن البديهي أن يوسف بن تاشفين قد تأثر بشيخه عبد الله بن ياسين فحاكاه في ورعه وتقواه وعدله وجهاده؛ فمنذ أن عُيّن أميرا على المغرب سنة 435هـ، وضع نصب عينيه توحيد أقاليمه وقبائله في دولة واحدة، وكانت المهمة في غاية من الصعوبة، إلا أن الإيمان إذا تمكن من القلوب، فإنه يصنع المستحيل. وكان من منهجه في الجهاد أن قسَّم جنده بين منقذين لمن يستغيث بهم، وبين مهاجمين لمواطن الشرك والفساد، ومن جوانب سيرته[49] بين الناس أنه كان ينشر تعاليم الدين الصحيح بينهم، ويتفقد البلاد والرعية، ويرفع المكوس والضرائب الجائرة؛ فلم يوجد في بلد من بلاده، ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس، ولا معونة ولا خراج في حاضرة، ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة، وأخماس غنائم المشركين، وجبى من المال مالم يجبه أحد قبله، كما رَدَّ أحكام البلاد إلى القضاء، وأسقط ما دون الأحكام الشرعية من الأحكام الوضعية، وكان يسير في أعماله فيتفقد أحوال رعيته في كل سنة، وكان مُحبا للفقهاء والعلماء مقربا إياهم ومكرما لهم، وصادرا عن رأيهم، وكان يدعو إلى الجماعة، وإلى الصلاة، وإقامة الدين، والالتحاق بركب الجهاد[50].

كل ذلك جعله يقيم دولة عظيمة في المغرب والصحراء، تمتد بعد ذلك إلى بلاد الأندلس التي استغاثت به، فردَّ عنها كَيْدَ الصليبيِّين، وضمَّها إلى دولته لمَّا تبيَّن له فساد أمرائها، ويَأْسُهُ من صلاحهم.

الفرع الثالث: كيفية تأثير القيم الروحية في بناء دولة المرابطين

بعد الإطلالة السريعة على حقبة زمنية مضيئة من التاريخ الإسلامي، يمكن أن يتبيَّن لنا دور القيم في بناء دولة المرابطين من خلال الأمور الآتية:

1- وعي الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي بضرورة استقدام عالم وفقيه يُنقذ قومه مما هم فيه من الفتن والفساد والضلال؛ لذلك يعتبره بعض المؤرخين المؤسِّسَ الحقيقي الأول

لدولة المرابطين.

2- نجاح دعوة عبد الله بن ياسين بادئ الأمر، واكتسابه المكانة الرفيعة عندهم؛ لنشره للقيم الروحية التي يفقدها الناس، وترسيخه للأخلاق الفاضلة بأسلوبه المميز، وإتقانه للهجات البربر، وبما حباه الله من ذكاء وعلم وفقه مكَّنه من أن يحرك وجدان وقلوب الناس.

3- ليس عامة الناس من ثاروا على عبد الله بن ياسين، وإنما أصحاب الاستبداد من أمرائهم وكبرائهم؛ حيث تتعارض القيم مع مصالحهم وأهوائهم.

4- النهج القيمي الذي خطه عبد الله بن ياسين سار عليه تلامذته وأتباعه في حياته وبعد مماته؛ كأبي بكر بن عمر، ويوسف بن تاشفين.

5- تنازل أبي بكر بن عمر اللمتوني ليوسف بن تاشفين عن إمارة المغرب يُعَدُّ نموذجا فريدا ودليلا قاطعا على سمو الأخلاق والقيم التي تشبع بها، والتي منها: الإخلاص، والتعلق بالآخرة، وعدم حب السلطة، والنزاع عليها.

6- إقامة الجهاد لا تتعارض مع الدعوة الإصلاحية التي تنشر القيم، وإنما هو من يحميها، ويدافع عن المظلومين، ويمنع الاستبداد، ويُرسي قواعد العدل بين الناس، وهذا ما سطَّره يوسف بن تاشفين من خلال مسيرته الجهادية الإصلاحية.

الخاتمة

بعد هذا العرض يأتي بيانٌ لأهم النتائج التي توصلنا إليها، وبعض التوصيات والمقترحات التي هُدينا إليها أثناء تحريرنا لهذا البحث؛ مما يزيد في خدمة موضوعه، ويُحَسِّنُ أمر الانتفاع به.

أولا- أهم النتائج:

1- يُشير مصطلح القيم الروحية إلى ما يتعلَّق بالروح دون المادة، وقد عُرّفت بأنها: حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك.

2- المصدران الأساسيان للقيم الروحية هما الكتاب والسنة؛ فهما النبع الصافي لكل قيم الحق والخير والجمال، والإنسان لا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية متكاملة تساعده على أداء دوره في الأرض؛ بسبب ما يطرأ عليه من ميل للهوى، وما جُبِل عليه من ضعف.

3- من خصائص القيم الروحية: الربانية، والموافقة للشريعة الإسلامية، والشمولية، والوسطية، والأبدية، وقيامها على التوحيد.

4- تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآراء علماء ومفكري الأمة على تقرير حقيقة ارتباط بزوغ الحضارات وأفولها بالقيم، اعتبارا أو إلغاء.

5- دولة المرابطين حقبة زمنية مضيئة من التاريخ الإسلامي تُبَيِّنُ لنا دور القيم في بناء الأمم وعزتها.

6- النهج القيمي الذي خطه عبد الله بن ياسين سار عليه تلامذته وأتباعه حل حياته وبعد مماته، وعلى رأسهم: أبو بكر بن عمر اللَّمْتُونِي، ويوسف بن تاشفين.

7- إقامة الجهاد لا تتعارض مع الدعوة الإصلاحية التي تنشر القيم، وإنما هو من يحميها، ويُرسي قواعد العدل بين الناس.

ثانيا- أهم التوصيات:

1- إرشاد الباحثين وطلبة العلم إلى ضرورة القيام بدراسات تاريخية تبرز دور القيم في بناء الفرد والمجتمع والأمة.

2- توجيه المفكرين المهتمين بنهضة العالم الإسلامي إلى أن يعملوا على تحديد العناصر الأساسية التي تُساهم في صنع تركيب حضاري متجانس من القيم والمثل العليا مع الأخذ بالأسباب المادية، والتصدي للفكر التغريبي الذي يسعى إلى فسخ القيم الإسلامية وتغييرها؛ بدعوى الحداثة والتقدم.

3- لفت انتباه الدعاة والآباء والمُربين والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين إلى ضرورة ترسيخ القيم في نفوس الأجيال؛ ليتكوَّن منهم جيلٌ صالحٌ يساهم في دفع عجلة التقدم للمجتمع والأمة.

ـ الحواشي والإحالات:

[1] – مركز الدراسات والأبحاث في القيم، تحديد مفهوم القيم، مقال أُخذ يوم: 2017/09/25م في الساعة: 11:08، من الموقع الرسمي لمركز الدراسات والأبحاث في القيم، والذي انبثق عن الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب من الرابط: http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5636

[2] – محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية- نحو إنسانية جديدة، ط:1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1431هـ، ص20.

[3] – طه عبد الرحمن، تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟ ط:1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2001، ص11.

[4] – صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط:4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، بدون تاريخ النشر، ص80-81.

[5] – طلال مشعل، مفهوم القيم الروحية في الإسلام لغة واصطلاحا، مقال أخذ يوم: 2017/09/25م في الساعة: 11:37 من موقع "موضوع" من الرابط: http://mawdoo3.com

[6] – محمد بشير محمد البشير، القيم الحضارية: مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية، مقال أُخذ يوم: 2017/09/25م في الساعة: 23:24 من موقع "منتديات أتباع المرسلين" من الرابط:
http://www.ebnmaryam.com/vb/t196249.html

[7] – محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية، ط:1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1431هـ، ص23.

[8] – طه عبد الرحمن، تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟ مرجع سابق، ص37.

[9] – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ-1996م، 2/289.

[10] – رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب جَامِعِ صَلاَةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، حديث رقم: 1773، يُنظر: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بدون رقم ط، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ النشر، 2/168.

[11] – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مصدر سابق، 2/289.

[12] – رواه أحمد في مسنده، مسند أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: 1740، يُنظر: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط:1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م، 3/266.

[13] – ينظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مصدر سابق، 2/294.

[14] – صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص81.

[15] – إبراهيم أبو محمد، منظومة القيم وعلاقتها بتجديد الفكر الإسلامي، مداخلة قدمت ضمن فعاليات المؤتمر الحادي والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والذي انعقد في القاهرة أيام 5-8 مارس 2009م تحت عنوان "تجديد الفكر الإسلامي"، ص11.

[16] – يُنظر: محمد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، مجلة دراسات، م: 9، الجامعة الإسلامية شيتاغونغ، 2002م، ص338-339، وصالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط:4، مرجع سابق، ص81.

[17] – إبراهيم أبو محمد، منظومة القيم وعلاقتها بتجديد الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص9.

[18] – عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:1، مؤسسة الرسالة، بدون مكان النشر، 1420هـ-2000م، ص573.

[19] – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، بدون رقم ط، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون تاريخ النشر، 284/18.

[20] – إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم،،ت: محمد حسين شمس الدين، ط:1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419هـ، 337/5.

[21] – محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط:1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1414ه، 508/3.

[22] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ط:32، مطابع الشروق، بيروت، 1423هـ-2003م، 2400/17.

[23] – العِينَةُ هي أن يشْتريَ الشَّيءَ من شخصٍ بأكثَر من ثمَنه إلى أجلٍ، ثم يَبيعه إليه بأقلَّ مما اشتراه. يُنظر: المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بدون رقم ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م، 736/2.

[24] – رواه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، حديث رقم: 3464، ينظر: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بدون رقم ط، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ النشر، 291/3. قال الألباني: "صحيح". يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط:1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ-1995م، 42/1.

[25] – محمد صالح المنجد، شرح حديث : (إذا تبايعتم بالعينة ...)، فتوى رقم: 67799، أخذت يوم: 2017/09/30م في الساعة: 11:57، من الموقع الرسمي للشيخ "الإسلام سؤال وجواب" من الرابط:
https://islamqa.info/ar/67799

[26] – محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، بدون رقم ط، دار الحديث، بدون مكان وتاريخ النشر، 58/2.

[27] – محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصبابطي، ط:1، دار الحديث، مصر، 1413هـ-1993م، 246/5.

[28] – رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم: 4299، يُنظر: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود مصدر سابق، 184/4. قال الألباني: "صحيح"، يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، 647/2.

[29] – خالد بن عبدالرحمن الشايع، شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم: يوشك أن تداعى عليكم الأمم، مقال أخذ يوم: 2017/09/30م في الساعة: 12:31 من موقع " شبكة الألوكة" من الرابط:
http://www.alukah.net/sharia/0/100313/#ixzz4uA1zDaXY

[30] – رواه ابن المبارك في كتاب الزهد، باب ما جاء في الفقر، أثر رقم: 584، يُنظر: عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق،

ت: حبيب الرحمن الأعظمي، بدون رقم ط، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ النشر، ص207.

[31] – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون رقم ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416ه-1995م، 28/62-63.

[32] – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، 28/146.

[33] – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 18/284-285.

[34] – عبد الحميد مدكور، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي وفتح الله كولن، مقال أخذ يوم: 2017/09/30م في الساعة: 8:27، من موقع "نسمات" من الرابط: http://www.nesemat.com

[35] – مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شافي، ط:1، مطابع دار الجهاد، القاهرة، 1376هـ-1957م، ص42.

[36] – المرجع نفسه، ص44.

[37] – المرجع نفسه، ص44.

[38] – يُنظر في ترجمته وقصة دعوته الكاملة: عياض بن موسى، ترتيب المدارك، ت: سعيد أحمد أعراب، ط:1، مطبعة فضالة، المغرب، 1981-1983م، 8/82، ومحمد بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط:1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ- 1997م، 8/134-136.

[39] – علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، بدون رقم ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص122.

[40] – يُنظر: عبد العزيز شهبي، تاريخ المغرب الإسلامي، ط:1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص65-66.

[41] – يُنظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مصدر سابق، ص123.

[42] – يُنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، بدون رقم ط، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ النشر، ص117-118.

[43] – يُنظر: المرجع نفسه، ص119-120.

[44] – حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ط:1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ-1992م، 2/15.

[45] – يُنظر: أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، بدون رقم ط، دار الكتاب، بدون مكان النشر، 1418هـ- 1997م، 2/7.

[46] – علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط:1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1427هـ-2006م، ص21، ويُنظر: إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط:1، دار الطليعة، بيروت، 1993م، ص9-10.

[47] – يُنظر: حامد محمد خليفة، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، ط:1، دار القلم، دمشق، 1424هـ-2003م، ص99-101.

[48] – يُنظر: المرجع نفسه، ص68.

[49] – يُنظر في سيرته وعدله: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مصدر سابق، ص136-137.

[50] – يُنظر: يُنظر: حامد محمد خليفة، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، مرجع سابق، ص102-108.

The role of spiritual values in building nations and civilizations

Almoravid dynasty as a model

By: Babbouche mohammed larbi & Dr. Mehaouat abdelkader
Institute of Islamic Sciences - El-oued University

Abstract:

There is no doubt that the pioneering human civilization is the combination of matter and spirit. The loss of one of them can cause the disappearance and fall of that civilization. Perhaps the suffering of the Islamic countries today of the weakness and backwardness of civilization because of the deviation and change in the spiritual values. The observer of Islamic history notes its importance in the establishment of many civilizations, and it is one of its most important elements. So, the following problems can be raised: What is the role of spiritual values in building nations and civilizations? What are the most important examples of that؟

This research comes to answer these problems by clarifying the concept of spiritual values, their sources and the most important examples of them, highlighting their importance in society and state building, rooting it from the Qur'aan and Sunnah, and quoting scholars and thinkers of Islam. It is about the role of spiritual values in the establishment of the Almoravid dynasty, especially in the first stage of the leadership led by Sheikh Abdullah Bin Yassin, using the historical approach based on analysis and description

Keywords: Interpretation ; Attributes of God ; Almorabitin; Almowahidin ; anthropomorphism.